

د.غفار محمد

mouhghafour4334@yahoo.com

– الملخص:

تناول البحث بالدراسة الأساليب الحديثة المستخدمة في تدريس وتلقين فن السينوغرافيا على مستوى الجامعة لفائدة طلبة قسم الفنون ، وذلك من خلال اعتماد نظام التعليمية الذي اصطلح عليه ب "didactique" وهي الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ، ولأشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم ، قصد بلوغ الأهداف المسطرة ، وترتكز السينوغرافيا كمادة فنية علمية قابلة للتدريس على أربعة محاور تتمثل في الجانب التاريخي والجمالي والهندسي والفني التشكيلي ، ولا تتم عملية تعليمية فن السينوغرافيا لدى المتعلمين إلا بعد إزالة العوائق المعرفية والمهارية والتقنية التي تعترض تحقيقها من الناحية النظرية والتطبيقية .

– الكلمات المفتاحية : – التعليمية – السينوغرافيا – التربية – التعلم – المهارية.

– Abstract :

The research dealt with the study of modern methods used in teaching and indoctrinating the art of scenography at the university level for the benefit of students of the art department, through the adoption of the educational system that was termed "didactique", which is the scientific study of teaching methods and techniques, and the forms of organizing education positions to which the learner is subject, in order to achieve Ruled targets, Scenography is based as a scientific artistic subject that can be taught on four axes represented in the historical, aesthetic, engineering and plastic arts aspect. The educational process of scenography is not carried out among the learners except after removing the cognitive, skill and technical obstacles that hinder its achievement in theory and practice.

- **Key words:** - educational - scenography - education - learning - skill.

- إشكالية البحث :

جاء اختيار السينوغرافيا مجالاً للبحث والتعلم تلبية للحاجة العلمية والبيداغوجية وملتطلبات التعليم والتعلم في مجال الفن والمسرح ومع توسع فن المسرح والاهتمام الدارسين بتنظيم الفضاء المسرحي وتزيين خشبة المسرح ، وتطور نظريات الاخراج المسرحي التي تراوحت مبادئها ما بين اعتماد الموهبة والابداع في مجال السينوغرافيا وما بين اعتماد الدراسة والتعلم لهذا الفن ، وعليه كان يتوجب تقديم دراسة خاصة بطلاق التعليم والمناهج المستخدمة في تلقين مبادئ هذا الفن للمتعلمين الذين لهم علاقة بهذا المجال.

وعلى هذا الأساس يمكن طرح السؤال التالي : كيف يمكن تدريس فن السينوغرافيا للطلبة بقسم الفنون ؟ وهل يمكن تدريس فن السينوغرافيا كمادة قابلة للتعليم والتعلم ؟ أم الاعتماد على المهارة المكتسبة بواسطة الممارسة الميدانية فقط ؟

وبطرح هذه الاشكالية يتبين لنا أهمية فن السينوغرافيا كمادة قابلة للتعليم والتدريس لدى الطلبة ، وتنطلق هذه العملية بداية من تحديد الجوانب التي يتم دراستها ثم العمل على ازالة العوائق التي قد تعترض المتعلمين في عملية التعليم والتعلم والعمل على تسخير كل الوسائل والامكانيات المادية والتقنية والتركيز على الجانب التطبيقي لهذه العملية وذلك لتحقيق الهدف المسطر ولإنجاح العملية التعليمية المقترحة.

1- مفهوم التعليمية :Didactique:

أستعمل مصطلح التعليمية لأول مرة عام 1613 ، وفي 1657 استخدم "كومينوس" * هذا المصطلح في كتابه "الديداكتيكا الكبرى" ، وفي أوائل القرن التاسع عشر وضع الألماني "هربرت" الأسس العلمية التعليمية كنظرية للتعليم هدفها تربية الفرد ، حيث أنها نظرية تهتم بالنشاطات الخاصة بالتعليم¹.

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر تيار جديد في التربية ، من أهم رواده "جون ديوى" سنة 1952 الذي أعطى أهمية كبيرة لنشاط التعلم في العملية التعليمية.

وترجع كلمة التعليمية - التي يطلق عليها مصطلح (didactique) - إلى أصلها اليوناني (didactos) أو (didaskein) ، وتعني : درّس أو علّم.

واصطلاحاً تعني : "كل ما يهدف إلى التثقيف وإلى ما له علاقة بالتعليم...وهي الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ، ولأشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم ، قصد بلوغ الأهداف المسطرة ، سواء على

المستوى العقلي المعرفي أو الانفعالي الوجداني أو الحس الحركي والمهاري ، كما تتضمن البحث في المسائل التي يطرحها تعليم مختلف المواد "2.

وتعني التعليمية أيضا : " فن تعليم مختلف المواد"3.

ويرى "كوليداري" أن : " الديدانكتيك تعني فن التدريس ، وتستعمل هذه الكلمة لتمييز بعض التقنيات وبعض المواد التي يتم اللجوء إليها لغرض التدريس ، وكنعت لطريقة في التدريس فإن المصطلح يعني بالخصوص الطريقة التوجيهية "4.

والديدانكتيك هي الدراسة العلمية لنظام وضعيات التعلم التي يعيشها المتعلم قصد تحقيق هدف معرفي"5.

وهناك نوعين من التعليمية ، تعليمية عامة وتعليمية خاصة :

أ- التعليمية العامة : وتهتم بكل ما هو مشترك و عام في تدريس المواد المختلفة وهي تشمل القواعد والأسس العامة التي تؤخذ بعين الاعتبار جميع المواد من دون أخذ خصوصية مادة على أخرى.

ب- التعليمية الخاصة : ويطلق عليها " تعليمية المواد " وتهتم بكل ما يخص تدريس مادة من مواد التدريس من حيث الطرق والوسائل الخاصة بها"6.

2- ماهية السينوغرافيا :

يرجع المهتمون بفن السينوغرافيا إلى جذورها اليونانية القديمة ، وإلى مصطلح "سكينغرافين- skenegrapphein" ، وتعني الكلمة تصميم الديكور أو تزيين واجهة المسرح بالألواح الخشبية المطلية بالرسوم ، بحيث كانت تلك الألواح المرسومة في القرن الخامس قبل الميلاد تمثل المكان التي كانت تجري فيه الأحداث ، وتجسد ذلك في مسرحيات سوفوكليس التراجيدية"7.

مصطلح السينوغرافيا في المسرح يعني الخط البياني للمنظر المسرحي حرفيا ، وتعبرا هو فلسفة علم المنظرية الذي يبحث في ماهية كل ما على خشبة المسرح ، وما يرافق فن التمثيل المسرحي من متطلبات ومساعدات تعمل في النهاية على إبراز العرض المسرحي جميلا ، متناسقا ومبها أمام الجمهور، فقد ربط الإيطاليون السينوغرافيا في عصر النهضة في القرن السادس عشر بالمنظور وأوغلوا في العمارة ، ثم استقر في القرون المتأخرة على مصطلح الديكور ، والتصق كذلك بالمنصة (خشبة المسرح) وتصميمها كمكان تجري فيه الأحداث المسرحية.

يشير المصطلح بدلالاته المعاصرة إلى عملية تضافر الصوت والحركة والتشكيل والأزياء والإضاءة في فضاء المسرحي والتحكم فيه ، ويعني اختصارا : تنسيق الفضاء المسرحي.

ب- تعريف مصطلح السينوغرافيا :

كلمة السينوغرافيا مشتقة من كلمة اللاتينية scenografia والتي اشتقت من الكلمة اليونانية srenographia ، وتنقسم إلى : graphien وتعني فن الرسم ، و skéné وتعني حرفيا فن رسم المشهد"8.

كما تعني أيضا: "كل ما يتعلق بالرسوم التي تتواجد على خشبة المسرح" ⁹.
وعرفها قاموس باتريس بأنها: "فن تزيين المسرح والديكور بالرسم" ¹⁰.

جاء في المعجم المسرحي بأن "السينوغرافيا كلمة تستخدم في كل اللغات المستمدة بلفظها من الكلمة اليونانية skenographia، المنحوتة من Skéné، وهي الخشبة، ومن graphikos، وهو تمثيل الشيء بخطوط وعلامات" ¹¹، ويرى فاضل خليل بأنها: "تزيين واجهة المسرح" ¹².
تعتبر السينوغرافيا "مفهوم يشتمل كل شيء موجود داخل إطار المنظر المسرحي من قطع ثابتة أو معلقة أو طائرة في فضاء المسرح حتى جسد الممثل وحركته والذي يرتديه والإضاءة الساقطة عليه وعلى أجزاء الديكور الأخرى" ¹³.

السينوغرافيا هي كذلك "فن تشكيل الفضاء المسرحي من خلال تفاعل عناصر العرض كافة من ممثل، زي، لون، ملمس، صوت، ضوء، خط، شكل، كتلة، حركة، بما يضمن وحدة نظام انشائي للعرض المسرحي" ¹⁴.

شاع مصطلح السينوغرافيا في العصر الحديث في نهاية الخمسينات من القرن العشرين نتيجة استقرار حركة المسارح ودور النشر في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وكان هدفها آنذاك هو تطوير حركة الفنون التشكيلية والتطبيقية وما تضمنته من فنون المعمار والمناظر والأزياء المسرحية.

اكتشفت كلمة سينوغرافيا من قبل المهندسين المعماريين الإيطاليين، واستعملت الكلمة بمعنى فن وضع الديكورات المسرحية بطريقة المنظور أي طريقة تنظيم الرسومات الهندسية والمعمارية والمدنية والديكورات المسرحية انطلاقا من عين المشاهد.

كما عرف الفرنسيون كلمة سينوغرافيا سنة 1545م، غير أنها وُظفت مختلفا عن مدلول السينوغرافيا التي تعني تصميم الديكور بطريقة المنظور.

غير أنه لم يستخدم مصطلح السينوغرافيا في عهد الإغريق بدقته المعروفة في العصر الحديث وذلك بسبب أن العرض المسرحي كان يقدم من خلال المؤلف الذي كان يقوم بكل شيء بداية من الدور الأساسي للبطل مروراً بكل عناصر العرض وهو ما يجعله رجل مسرح يقوم بدور فني عناصر العرض جميعا بما فيها السينوغراف والمخرج بمعناها المعاصر.

ثم ظل الحال على ما هو عليه في العصر الروماني الذي كان يتمثل في تقليد المسرح الإغريقي وظل كذلك في العصور الوسطى.

وقد اختلف المهتمون بالمسرح حول معنى السينوغرافيا، فمنهم من اعتقد أن المعنى فيها يقف عند حدود المنظر (الديكور) ومنهم من يراها في الإضاءة، واعتبرها آخرون فن الزخرفة.
والخلاصة أنها تشمل كل ما له علاقة بالمستلزمات الخاصة بالتكوين الفني للصورة المسرحية.

تعد السينوغرافيا علما وفنا لتنظيم الخشبة و الفضاء المسرحي ، وتعني أيضا مجازيا أو كناية الديكور بحد ذاته ، ونتاج عمل مصمم المسرح المشهدي ، وأصبح يحل هذا المصطلح مكان الديكور لكنه تطور إلى مصطلح أعم من الديكور ليشمل الإضاءة والأزياء وغيرها .

لقد تم نحت اسم السينوغرافيا من الإسكينا-skéné بوصفه في تزيين واجهة المسرح بالرسوم ، و"الإسكينا-skéné : تعني لدى الإغريق المكان من المبنى المقدم للمناظر (scène building) ، فهو المكان من المسرح خلف منطقة الممثلين الذي تجري فيه عملية تبديل الملابس و الأفتعة ، ثم ما ثبت أن تحول إلى خلفية للعمل المسرحي ، و أول ما استعمل هذا المصطلح في العام 456 ق م .

وكان عبارة عن حاجز خشبي صغير مزخرف بالأعمدة و له ثلاث أبواب يتم من خلالها دخول الممثلين وخروجهم ويتموضع في مواجهة مكان المتفرجين ، ومع نهاية القرن الخامس قبل الميلاد تم الاستعاضة عن هذا الحاجز الخشبي بجدار من الحجر" ¹⁵.

فالسينوغرافيا بمفهومها الحديث هي اكتشاف وليس اختراعا ، وذلك لإمتداد رحلة تصميم المناظر و إعداد الخلفيات ، فهي تعني كل المفردات التي تُرى أو تُسمع على خشبة المسرح سواء أكانت ثابتة أم متحركة. و" السينوغرافيا بالمعنى الحديث للكلمة هي فن تشكيل فضاء العرض والصورة المشهدية في المسرح والأوبرا والباليه والسيرك ، وهي نشاط ابداعي فني يفترض المعرفة بالرسم والعمارة (الصور والألوان والأشكال والحجوم) وبالتقنيات المستخدمة في المسرح والإضاءة وهندسة الصوت" ¹⁶.

تتم السينوغرافيا بتنظيم الفضاء المسرحي لكل النواحي ، بدءا من المساهمة في تصميم العمارة المسرحية إلى جانب المهندس المعماري ، وتصميم مكان العرض بشكل عام انطلاقا من الرؤية الدرامية والتأثير على المتفرج إلى تصميم وتنفيذ الديكور.

كانت الكلمة اليونانية "skénographia" تعني في القرن الخامس ق.م فن تزيين واجهة الجزء المخصص للتمثيل Skéné بعوارض مرسومة تمثل المناظر طبيعية أو معمارية تدل على مكان الحدث ، ثم أخذت الكلمة فيما بعد معاني متعددة حسب العصور ، ثم انتقل المعنى من مجال المسرح إلى مجالي العمارة والرسم ، ليعود إلى مجال المسرح من جديد .

و في عصر النهضة في ايطاليا كانت كلمة السينوغرافيا تدل على المنظور وهو أحد الرسوم الثلاثة التي كانت تقدم للبناء قبل أن يشرع في البناء إلى جانب المسقط والواجهات ، أي أن السينوغرافيا كانت من مفردات العمارة ، ولما صار تحقيق المنظور هو الأساس في تصميم الديكور المسرحي في عصر النهضة والقرن السابع عشر ، صارت كلمة السينوغرافيا تدل على تحقيق المنظور بالرسم في ديكور المسرح واستبدلت بعد ذلك بكلمة ديكور. ¹⁷

3- تعليم فن السينوغرافيا :

السينوغرافيا بصفتها مادة موجهة للمتعلمين تخضع لخصوصيات المدارس الفنية التي تناولت طرق ووسائل انجاز هذا الفن ، من حيث تنظيم الفضاء المسرحي وتزيينه يرتكز على تقنيات الفن التشكيلي ، وترتكز السينوغرافيا كمادة فنية علمية قابلة للتدريس على أربعة محاور :

أ- جانب تاريخي : وهي دراسة تاريخية لكل النظريات الخاصة بالسينوغرافيا والمرجعيات التي تساهم في تطور الجانب النظري للمتعلم.

ب- جانب جمالي : وهي المعرفة المرتبطة بالهدف العام من التعلم وهو تحقيق الجمالية المسرحية والفنية لدى المشاهد.

ج- جانب تقني هندسي : وهي المعرفة الخاصة بتقنيات السينوغرافيا التي تعتمد على الحسابات الهندسية من حيث المنظور والتشكيل الحركي ووضع الديكور المناسب لحركة الممثل وتقنيات الإضاءة تتماشى مع متطلبات العرض .

د- جانب فني تشكيلي : وهي المعرفة بالأمر الفنية المسرحية وعلاقتها بالفضاء المسرحي وكيفية خلق تناسق ما بين عناصر العرض المسرحي من حيث اضاءة اللمسة الفنية من طرف مصمم السينوغرافيا التي تعتمد على تناسق الألوان ووضوح الإضاءة وحسن توزيعها على الخشبة وعلى ترتيب عناصر الديكور وعلى اختيار الأزياء المعبرة عن شخصيات الممثلين في العرض¹⁸.

4- عوائق تعلم السينوغرافيا :

تعتبر عملية تعليم السينوغرافيا عدة عوائق تفرضها خصوصيتها كمبادئ فنية ، ومنها :

أ- عوائق معرفية : السينوغرافيا مصطلح لا زال لم تتفق عليه المدارس الفنية في تحديد تعريف موحد لها ، وعليه يتوجب تحفيز المتعلمين على اكتشاف هذه المشكلة وتوضيح ماهية السينوغرافيا وكيفية التعامل معها على خشبة المسرح.

ب- عوائق مهارية : لأن السينوغرافيا تتطلب اكتساب مهارات فنية وابداعات وقابلية لتعلمها قبل تلقي المعلومات النظرية المتعلقة بها ، وعلى أستاذ المادة أن يكشف هذه العوائق ويحدد الأساليب التي تحقق بطلته عملية التعلم.

ج- عوائق تقنية : هناك عائق يعترض المتعلمين وذلك في مرحلة تطبيق الدروس النظرية الخاصة بفن السينوغرافيا من حيث تصنيع القطع والأجزاء الخاصة بعناصر السينوغرافيا مثل قطع الديكور وتفصيل الملابس المسرحية وإعداد وتركيب تجهيزات الإضاءة وغيرها من العناصر ، وهو ما يتطلب تدليل هذه العوائق أمام الطلبة وذلك بالتركيز على الورشات التطبيقية التي يشارك فيها الطلبة في انجاز وصناعة أجزاء السينوغرافيا تحت إشراف الأستاذ المختص¹⁹.

5- تعلم الابداع وتطويره لدى المتعلم :

تعتمد عملية الابداع والابتكار لدى الطلبة على أساليب متنوعة من أهمها :

- مساعدة المتعلمين في اكتشاف قيمة مواهبهم الابداعية.
- تشجيع المتعلمين في تقديم آرائهم والتعبير عن وجهات نظرهم.
- توفير الجو التعليمي المناسب من حيث الوسائل التعليمية والتقنية لتنفيذ الدروس النظرية وتصنيع المستلزمات الخاصة بفن السينوغرافيا ، ويكون تنفيذ ذلك عن طريق تناول عمل درامي معين بالدراسة وتطبيق الدروس النظرية عليه يحضره الطلبة المعنيين بالتعليم وتحت إشراف الأستاذ المختص ولا مانع من حضور مختصين في السينوغرافيا لديهم خبرات في تصميم وتنفيذ الديكورات المسرحية و لهم دراية في تصميم وعرض الإضاءة المسرحية وكذا في مجال تصميم الملابس المسرحية وغيرها من العناصر السينوغرافية ، بحيث تمنح الفرصة للطلبة للمشاركة بمهاراتهم وقدراتهم في تطبيق ما تعلموه نظريا وإنجاز أعمال فنية على أرض الواقع.
- كما يعتمد أستاذ المادة التعليمية على اعداد مذكرات منهجية تتضمن دروس نظرية حول هذا التخصص المراد تعليمه وتبقيته للطلبة ، وكذا مراحل الإنجاز من أجل تصنيع القطع المطلوبة في مجال السينوغرافيا²⁰.

6- نتائج البحث :

- من خلال ما تم تناوله في هذا البحث يمكن الخروج بالنتائج التالية :
- الاعتماد على تلقين المتعلمين المعارف النظرية الخاصة بفن السينوغرافيا وذلك بمراجعة عدة جوانب منها التاريخية والجمالية والتقنية والهندسية والفنية والتشكيلية.
- الاعتماد على ازالة العوائق التي تعترض المتعلمين في هذا المجال والمتمثلة في العوائق المعرفية والمهارية والتقنية.
- الاعتماد في عملية التعليم على الموازنة ما بين الأمور المعرفية وبين المهارات الابداعية لدى الطلبة.
- القيام بتنفيذ الدروس النظرية عن طريق انشاء ورشات تطبيقية لصناعة إنجازات فنية بمشاركة الطلبة تحت اشراف أستاذ المادة وبمساعدة مختصين في مجال السينوغرافيا.
- توفير الوسائل المادية الضرورية لصناعة الإنجازات المطلوبة في مجال السينوغرافيا : الرسومات الهندسية ، وسائل الرسم والتلوين ، قطع الديكور ، ملابس الممثلين ، أجهزة الإضاءة وغيرها من الوسائل.

- الهوامش :

- * كومبوس (1592-1670): جون أموس كامينيوس ، مصلح وتربوي وضع فلسفة تربوية جديدة عرفت باسم : الكلية المعرفية ، بناها على خبرته العملية الطويلة في مجال التعليم ، وكان من أشد المعارضين لطبقة التعليم النظرية التي سادت عصره والتي قامت على حفظ المعلومات واستذكارها ، من أهم مؤلفاته : فن التعليم الرائع ، بوابة اللغات الميسرة ، وغيرها .
- ينظر : الموسوعة العربية ، عن موقع : www.arab-ency.com.
- 1- ينظر : بوزغابة باية ، تعليمية المواد أم بيداغوجية "محاضرة" ، جامعة ورقلة.
- 2- علي تعوينات ، التعليمية والبيداغوجيا في التعليم العالي "محاضرة" ، الملتقى الوطني الأول حول تعليمية المواد في النظام الجامعي ، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية ، أفريل 2010 ، ص6.
- 3- ينظر: بوزغابة باية ، مرجع سابق.

- 4- محمد صهود ، مفهوم الديدأكتيك : قضايا واشكالات ، كلية علوم التربية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ص121.
- 5- المرجع نفسه ، 122.
- 6- ينظر: علي تعوينات ، مرجع سابق ، ص6.
- 7- ينظر: ندم معلا ، لغة العرض المسرحي ، دار المدى ، ص97.
- 8- كمال عيد ، سينوغرافيا المسرح عبر العصور ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 1997، ص5.
- 9- ناجي جبار كاشي ، السينوغرافيا في نظريات برتولد بريخت ، مجلة القادسية للعلوم الانسانية ، العدد : 1 ، 2008.
- 10- باتريس بافي ، معجم المسرح ، ترجمة: ميشال ف.خطار، مكتبة الفجر الجديد ، ط1، بيروت ، 2015 ، ص477.
- 11- ماري إلياس وحنان قصاب حسن ، المعجم المسرحي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط2 ، 2006 ، ص265.
- 12- فاضل خليل ، السينوغرافيا واشكالات المعنى ، مجلة الحوار المتمدن ، العدد: 2044.
- 13- عبد الله حسن الغيث ، السينوغرافيا المسرحية مفهوما ولغة مسرحية ، مجلة العلوم الانسانية ، الكويت ، ص103.
- 14- فاتن جمعة سعدون ، آليات تكامل السينوغرافيا في عروض مسرح الطفل ، مجلة كلية الآداب ، العدد : 95.
- 15- عبد الرزاق معاد ، حسام دبس وزيت ، السينوغرافيا في مسرح القرن العشرين وارتباطهما بفنون التصوير ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، العدد : 01 ، 2009 ، ص23.
- 16- ماري إلياس وحنان قصاب حسن ، المعجم المسرحي ، مرجع سابق ، ص265.
- 17- المرجع نفسه ، ص265.
- 18- ينظر: زيد سالم سليمان ، السينوغرافيا المسرحية بين التعليم والتعلم ، المجلة الأردنية للفنون ، العدد : 2 ، جامعة بغداد ، ص103.
- 19- المرجع السابق ، ص104.
- 20- المرجع السابق ، ص105.

